إيران وولاية الفقيه: نموذج يأبى الاعتراف بفشله

28 يوليو 2024

سياسة وتاريخ

4 دقيقة قراءة

www.saudieinstein.com

إيران وولاية الفقيه: نموذج يأبى الاعتراف بفشله



هل يحتاج المرء إلى أكثر من نظرة عابرة إلى المشهد الإقليمي ليدرك الفارق الشاسع بين نظام الملالي المتهالك في إيران وبين التحول الجذري الذي تشهده المملكة العربية السعودية؟ ألا يكفي نصف قرن من "الثورة الإسلامية" لإثبات فشل نموذج ولاية الفقيه؟

ذاك أنّ إيران، منذ تولي آية الله الخميني السلطة في 1979، لم تفعل سوى تصدير البؤس والفوضى إلى جيرانها. فتحت ستار "تصدير الثورة" – وهو شعار لا يخلو من سخرية – أغرقت المنطقة في صراعات طائفية وحروب بالوكالة، مستغلةً الأقليات الشيعية لزعزعة استقرار الدول المجاورة. والحال أنّ هذه السياسة لم تجلب سوى العزلة والعقوبات

لإيران نفسها، فيما يرزح شعبها تحت وطأة الفقر والقمع. فـي المقابـل، نشهـد فـي السـعودية نموذجـاً مغايراً تماماً. فمنـذ إطلاق رؤيـة 2030 بقيادة الأمير محمد بن سلمان، بدأت المملكة رحلة طموحة نحو التحديث والانفتاح. وبدلاً من تصدير الأيديولوجيا – كما تفعل إيران – تصدّر السـعودية نموذجـاً للإصلاح المتـدرج والتنميـة المسـتدامة. لنتأمل للحظـة فـي المشهـدين: ففي طهران، نرى خامنئي – الذي يحكم البلاد بقبضة من حديد منذ 1989 – يواصل التمسك بخطاب عدائي ضد الغرب وجيران إيران. أمّا في الرياض، فنشهد قيادة شابة تسعى لبناء جسور مـع العـالم، وتفتـح أبـواب المملكـة أمـام الاستثمارات والسياحة. وإذا كان الحرس الثوري

الإيرانـي يسـتنزف مـوارد البلاد فـي مغـامرات خارجيـة مكلفـة، فـإنّ السـعودية تـوجه مواردهـا نحو مشاريع عملاقة كمدينة "نيوم" ومبادرات اقتصادية طموحة تهدف لتنويع الاقتصاد وخلق فرص عمل للشباب. بيد أنّ الفارق الأهم، ربما، هو في التعامل مع الدين. فبينما تفرض إيران تفسيراً متشدداً للإسلام عبر سلطة رجال الدين المطلقـة، تتجـه السـعودية نحـو إسلام معتـدل ومنفتح. ألم يقل الأمير محمد بن سلمان إنه يريد "إسلاماً معتدلاً منفتحاً على العالم وعلى جميع الأديان وعلى جميع التقاليد والشعوب"؟

والحال أنّ هذا التوجه السعودي الجديد يمثل تحدياً مباشراً لنموذج ولاية الفقيه. فهو يثبت أنّ الإسلام – فـي جـوهره – ليـس عائقـاً أمـام

التقـدم والانفتـاح، بـل يمكـن أن يكـون محركـاً للتنمية إذا ما فُهم بشكل صحيح.

لهـذا، فـإنّ المقارنـة بيـن النمـوذجين – الإيرانـي والسـعودي – تكشـف بجلاء عـن إفلاس فكـرة ولايـة الفقيـه. فبعـد عقـود مـن الفشـل، أليـس الوقت قد حان لكي يدرك النظام الإيراني أنّ زمــن الثــورات الأيديولوجيــة قــد ولّــى؟ وأنّ المستقبل هو للدول التي تستثمر في شعوبها وتنفتـح علـى العـالم، لا تلـك التـي تغلـق علـى نفسها أبواب التقدم؟

أغلــب الظــنّ أنّ نمــوذج ولايــة الفقيــه يســير بخطـى حثيثـة نحـو نهـايته المحتومـة. فالتـاريخ يعلّمنا أنّ الأنظمة التي تفشل في التكيّف مع متطلبات العصر لا بدّ أن تسقط، عاجلاً أم آجلاً.

وإذا كانت الثورة الخضراء في 2009 قد مثّلت الإنـذار الأول، فـإنّ الاحتجاجـات المتكـررة فـي السنوات الأخيرة تشير إلى أنّ الساعة تدقّ بقوة لنظـام الملالي. لكـنْ متـى سـيأتي السـقوط الحتمـي؟ وكيـف سـيكون شكلـه؟ تلـك أسـئلة يصعب الإجابة عنها بدقة. بيد أنّ المؤكد هو أنّ نظاماً يعيـش علـى استيراد الماضي وتصـدير الأزمات لا يمكن أن يصمد طويلاً في عالم يتغير بسـرعة مذهلـة. ولعـلّ السـؤال الأهـم: هـل سـيدرك قـادة إيـران – قبـل فـوات الأوان – أنّ التغييـر بـات ضـرورة حتميـة، لا خيـاراً؟ أم أنهـم سيواصـلون السـير فـي طريـق مسـدود، حتـى تجرفهم رياح التغيير العاتية؟